﴿تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 28 – 29]، وفي غزوة الأحزاب أيضاً سعى بعض اليهود لتتبع عورات المسلمات[1]، فانهمرت أحكام الستر والحجاب في السورة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 59].

ثانياً: كانت النقطة السابقة هي التي فتحت البحث عن علاقة ذِكر قضية التبني بسورة الأحزاب، فأقول والله أعلم: أنَّ الله ﷻ إذا ما أنشأ الصراع بين الحق والباطل، فمن مقاصد ذلك إبطال الباطل وإحقاق الحق، وقد يُمرِّر الله هذا الأمر من خلال الأولياء أوالسفهاء، فليس مدار النظر إلى الجهة التي وقع عليها البلاء، بل إلى تمرير سنة التدافع وإزهاق الباطل، وحتى يزداد الكلام وضوحاً أقول: إنَّ مشروع التبني مشروعٌ يريدُ الإسلامُ أن يُبطله، وأن يُظهر للكل بمن فيهم نبي الأمة ﷺ، ألَّا تبنِّي في الإسلام، وهنا سيحدث خطبٌ جللٌ في المجتمع، حيث أنَّ زيد بن حارثة رضي الله عنه كان دَعيَّ النبي ﷺ، وكان يُدعى زيد بن محمد، واستفاض بين الناس هذا الأمر، وصار مُتعوَداً عليه وغير مُستَهجَن، وكَبُر زيدٌ وتزوج من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وفجأةً يأتي أمرٌ إلهيٌّ يُخلخل عادات النظام الجاهلي، فيأمر محمداً ﷺ، أن يتزوج زوجة زيد!، يا لصعوبة الموقف، وما أشدَّ الحرج فيه، كيف سيتزوج النبي زوجة ولده في نظر الناس؟!، كيف سيتقبل المجتمع هذا الأمر؟!، كل هذه التفاصيل غير معتبرة في ميزان السنن.

(1) أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ جَعَلَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ فِي أُطُمٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه، فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنَّا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِّهِمْ، لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إِلَيْنَا إِنْ أَتَانَا آتٍ، فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ! إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ كَمَا تَرَى يَطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَتِنَا مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ يَهُودَ.